مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١١)

الاستدلال على مبهم القرآن بالقرآن

إعداد
الباحث / عامر أحمد على عامر
كلية الآداب - جامعة المنوفية - للحصول على درجة الماجستير
تحت اشراف
أ .د / ياسر عطية الصعيدى
أستاذ الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٧ العدد (١٠٤) يناير ٢٠١٦م
http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستدلال على مبهم القرآن بالقرآن

الباحث / عامر أحمد علي عامر

كلية الآداب – جامعة المنوفية – للحصول على درجة الماجستير

تحت إشراف

أ.د/ ياسر عطية الصعيدي

أستاذ الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية

كلية الآداب- جامعة المنوفية

الملخص

يعرض هذا البحث نماذج ثلاثة لاستدلال المفسرين، على اختلاف مدارسهم التفسيرية، على مبهم القرآن الكريم بالقرآن الكريم، ويناقش استدلالاتهم، محاولًا أن يخلص إلى منهج علمي للتعامل مع هذا المبهم، وليس فقط إلى ترجيح رأي من الآراء على ما عداه.

والمقصود بالمبهم هنا "ما ذكر في القرآن الكريم بغير اسمه، وما لم يعينه من عدد أو أمد أو مكان أو نسب أو حدث"[1].

وتكمن أهمية هذا البحث في أن تفسير القرآن بالقرآن يأتي في مقدمة طرق التفسير، غير أنه قد يقع بعض الإشكال في طرق الاستدلال، نتيجة نظرة جزئية، لمواطن في القرآن دون أخرى، أو إغفال ما لا يحسن إغفاله، أو التمسك بظاهر النص القرآني دون الولوج إلى مضامينه وإيحاءاته، وما يمكن أن تحمله لغته من معانٍ ومقاصد، ربما لا يقوم بها ظاهر النص... إلخ.

لهذا وغيره كان من الضروري وضع منهج علمي تجب مراعاته على مفسر القرآن بالقرآن، ومن ثمَّ المستدل على مبهم القرآن بالقرآن، وهو ما يحاول البحث أن يضطلع به..

والله من وراء القصد.

(١) هذا التعريف للمبهم هو ما استقر عليه البحث بعد مناقشة مجموعة من التعريفات المذكورة في المواقف ذات الصلة بالموضوع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة

يأتي تفسير القرآن بالقرآن في صدارة طرق التفسير على الإطلاق، ولا غرو، فالله عز وجل أعلم بمراده، وقد قدم القرآن في مواطن كثيرة تفاسير واضحة لمعاني بعض ألفاظه، يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ (٢)، ويقول سبحان: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ (٣)... وغير ذلك مما قد يذكر في موطن موجزا ثم يبسط فيه القول في موطن آخر، أو مبهمًا في موطن ثم يزال إبهامه في آخر... وهكذا (٤).

والرسول ﷺ هو أول من فسر القرآن بالقرآن، من ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، ما روى البخاري ومسلم وغيرهما (٥) عن عبدالله (٦) ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾ (٧)، شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا أينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣﴾ (٨)، ولا شك أنه ﷺ أعلم الناس ببيان القرآن، وبطرق هذا البيان.

وتجدر الإشارة إلى أن الاستدلال بالقرآن لتفسير القرآن لا يُشترط دومًا أن يوفق فاعله إلى الصواب، بل قد يخفق، لا بسبب اعتماده على القرآن في التفسير، ولا لاضطراب أو تناقض في القرآن، معاذ الله، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ (٩)، ولكن قد يقع الإخفاق لخطأ في الاستدلال، أو تقصير في دراسة

---

(٢) سورة الطارق: الآيات من ١-٣.

(٣) سورة الانفطار: الآيات من ١٧-١٩.

(٤) للمزيد من هذه النماذج من تفسير القرآن للقرآن تنظر مقدمة كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥هـ ١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد ١/ ١٠ وما بعدها، والكتاب إمام في هذا الباب.

(٥) فتح الباري برقم ٦٩١٨، ١٢/ ٢٦٤، ومسلم في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه برقم ١٢٤، وفي صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ١/ ١٤٣، وأحمد في مسنده (١/ ٣٧٨ ط. الميمنية)، والترمذي برقم ٣٠٦٧، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ٥/ ١٥٢.

(٦) هو عبدالله بن مسعود الصحابي المعروف.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٨) سورة لقمان: من الآية ١٣.

(٩) سورة النساء: من الآية ٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستخدام القرآني للألفاظ والجمل والأساليب، أو النظر إلى مواطن قرآنية دون غيرها مما قد تكون ذات صلة بالموضوع، أو لأمور أخرى تجب مراعاتها، ربما تكون خاصة بكل موطن على حدة، قد تغيب عن المستدل.

ولما كان ما سبق مقررًا في التفسير بصفة عامة، كان المبهم أجدر به وأولى، لخصوصية الكلام في المبهم والبحث فيه، وهو ما دفع البعض إلى أن يقصر طرق معرفة المبهم على النقل[١٠]، وفيما يلي ثلاثة نماذج من استدلال المفسرين على بعض مبهم القرآن الكريم بالقرآن الكريم ومناقشتها.

وينتظم هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: **الاستدلال على «الذين أنعم الله عليهم» في سورة الفاتحة.**

المبحث الثاني: **الاستدلال على «المغضوب عليهم» و«الضالين» في سورة لفاتحة**

المبحث الثالث: **الاستدلال على الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه.**

خاتمة

(١٠) قال الإمام السيوطي: «مرجع هذا العلم النقل المحض، ولا مجال للرأي فيه...»، انظر مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ ١٥٠٥م)، بضبط وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ١٩٨٢م، ص٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

الاستدلال على «الذين أنعم الله عليهم»

في قوله تعالى ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾[11]

- القيمة العلمية أو العملية لمعرفة المبهم في الآية

يدعو المؤمن في صلاته في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، على الأقل، أن يجعله الله من المنعم عليهم، وألا يجعله من المغضوب عليهم، ولا من الضالين، فلا يمكن أن يأمره الله بهذا الدعاء، ويغفل هو عن تحري هذه الفئات، ليبتعد عمن يجب الابتعاد عنهم، ويكون في زمرة من يجب أن يكون في زمرتهم.

-آراء المفسرين في المنعم عليهم في فاتحة الكتاب

للمفسرين في المنعم عليهم في فاتحة الكتاب آراء، تكاد تكون متقاربة، يجمعها رأي واحد، على النحو التالي.

١- النبيون والصديقون والشهداء والصالحون

استدل كثير من المفسرين على المنعم عليهم في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾[12] بقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[13]، يقول القرطبي: «واختلف الناس في المنعم عليهم، فقال الجمهور من المفسرين: إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وانتزعوا ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[14]، فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد...»[15].

(١١) سورة الفاتحة: من الآية ٧.
(١٢) سورة الفاتحة: من الآية ٧.
(١٣) سورة النساء: الآية ٦٩.
(١٤) سورة النساء: الآية ٦٩.
(١٥) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢-المؤمنون

نقله الطبري[١٦] وابن عطية[١٧] عن ابن عباس.

٣- المسلمون

نقله الطبري[١٨] وابن عطية[١٩] عن ابن عباس.

٤- مؤمنو بني إسرائيل- أصحاب موسى قبل أن يبدلوا

نقله ابن عطية[٢٠] عن مكي وغيره عن فرقة من المفسرين، واستدلوا بقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [٢١]، كما نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما..

٥- محمد وأبو بكر وعمر

نقله ابن عطية[٢٢] عن مكي عن أبي العالية.

٦- النبي ومن معه

نقله الطبري عن عبدالرحمن بن زيد.[٢٣]

المناقشة

يُلاحظ من هذه الآراء أن آية سورة النساء جامعة، جمعت كل المنعم عليهم من البشر، بل والملائكة يمكن أن يدخلوا في الآية مع «الصالحين»، وهذا ما أشار إليه القرطبي بقوله: «وجميع ما قيل إلى هذا يرجع، فلا معنى لتعديد الأقوال والله المستعان»[٢٤]، فالعلاقة بين الآيتين يمكن أن نطلق عليها علاقة إجمال وتفصيل، ولا دليل على تخصيص مؤمني بني إسرائيل أو أصحاب موسى، فلا وجه للاستدلال بقوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [٢٥].

---

(١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، وقيل يزيد بن كثير بن غالب (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (د.ت)، ١٧٨/١.

(١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٧٥/١.

(١٨) جامع البيان، ١٧٨/١.

(١٩) المحرر الوجيز، ٧٥/١.

(٢٠) المحرر الوجيز، ٧٥/١.

(٢١) سورة البقرة: من الآية ٤٠، و٤٧، و١٢٢.

(٢٢) المحرر الوجيز، ٧٥/١.

(٢٣) جامع البيان، ١٧٨/١.

(٢٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٠/١.

(٢٥) سورة البقرة: من الآية ٤٠، و٤٧، و١٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

الاستدلال على «المغضوب عليهم» و«الضالين» في سورة الفاتحة

- القيمة العلمية أو العملية لتحديد المبهم في الآية

ما قيل في ضرورة معرفة المنعم عليهم يقال هنا.

- آراء المفسرين فيها

اختلف المفسرون في تحديد «المغضوب عليهم» و«الضالين» في فاتحة الكتاب إلى خمسة آراء:

الرأي الأول: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى

واعتمد أصحاب هذا الرأي على وصف القرآن الكريم اليهود بالمغضوب عليهم، والنصارى بالضالين، في مواطن أخرى منه، وقوّى هذا الاستدلال ما ورد من أخبار مرفوعة إلى النبي ﷺ تبدو صريحة في أن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى.

ورأى بعض أصحاب هذا الرأي أنه لا وجه للاستدلال بالقرآن على تخصيص اليهود أو النصارى بإحدى الصفتين، أو قصر واحدة منهما على اليهود أو النصارى، لأن الوصفين واردان في القرآن لليهود والنصارى وغيرهما، واكتفوا بالاستدلال على ذلك بالأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ.

الرأي الثاني: المغضوب عليهم هم كل من عرفوا الحق وحادوا عنه، والضالون هم كل من لم يهتدوا للحق أصلًا

واعتبر أصحاب هذا الرأي أن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ من قبيل التفسير بالمثال، أي توضيح الشيء بتقديم مثال عليه.

الرأي الثالث: «غير المغضوب عليهم» بالبدعة، و«لا الضالين» عن السنة.

الرأي الرابع: المغضوب عليهم هم من أخطأوا في الأعمال الظاهرة، والضالون هم من أخطأوا في الاعتقاد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرأي الخامس: المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون.

وفيما يلي بسط هذه الآراء ومناقشتها والترجيح بينها.

أ- المغضوب عليهم

يقول ابن جرير الطبري في الاستدلال على المقصودين في قول الله تعالى في سورة الفاتحة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ (٢٦) «فإن قال لنا قائل: فمن هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته ألا يجعلنا منهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيله فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝٦٠﴾ (٢٧)، فأعلمنا جل ذكره بمنه ما أحلّ بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه، ثم علمنا، مِنَّةً منه علينا، وجه السبيل إلى النجاة، من أن يحل بنا مثل الذي حلّ بهم من المَثُلات، ورأفة منه بنا»(٢٨).

ثم يورد جملة من الآثار المروية بسنده إلى رسول الله ﷺ تؤكد اختياره هذا (أن المغضوب عليهم هم اليهود)، بعد أن يقول: «فإن قال: وما الدليل على أنهم أولاء الذين وصفهم الله وذكر نبأهم في تنزيله على ما وصفت قيل...» (٢٩).

- المناقشة :

أولا: لا شك أن المغضوب عليهم في آية المائدة هم اليهود، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ (٣٠)، وقد جاء ذكر تحويل اليهود إلى قردة وخنازير في سورتي البقرة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝٦٥﴾ (٣١)، والأعراف ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

(٢٦) سورة الفاتحة: من الآية ٧.
(٢٧) سورة المائدة: الآية ٦٠.
(٢٨) جامع البيان، ١/١٨٥.
(٢٩) جامع البيان ج١ ص١٨٥- ١٨٩.
(٣٠) سورة المائدة: من الآية ٦٠.
(٣١) سورة البقرة: من الآية ٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [٣٢]، لكن لا دليل في الآية على أنهم وحدهم هم المغضوب عليهم.

ثانيًا: ثمة آيات أخرى ألحقت باليهود غضب الله، لكنها أيضًا لم تقصره عليهم (البقرة: ٩٠ وآل عمران: ١١٢ والأعراف: ١٥٢)، وقد استدل مفسرون آخرون بهذه الآيات على أن المقصودين بـ«المغضوب عليهم» في سورة الفاتحة هم اليهود، مثل ابن كثير والقرطبي والشنقيطي وغيرهم[٣٣].

ثالثًا: في القرآن الكريم أقوام آخرون غير اليهود مغضوب عليهم، قال تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [٣٤].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [٣٥].

- ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [٣٦].

- ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [٣٧].

---

(٣٢) سورة الأعراف: من الآية ١٦٦.
(٣٣) انظر تفاسيرهم للآية السابعة من سورة الفاتحة.
(٣٤) سورة النساء: الآية ٩٣.
(٣٥) سورة الأنفال: الآيتان ١٥و١٦.
(٣٦) سورة النحل: الآية ١٠٦.
(٣٧) سورة الفتح: الآية ٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فنحن أمام فئات عدة في القرآن مغضوب عليها (القاتلون عمدًا، والفارون من الزحف، والمنشرحة صدورهم بالكفر بعد الإيمان، والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الظانون بالله ظن السوء)، وهذا ما أشار إليه الألوسي حين قال: «... الغضب والضلال وردا جميعًا في القرآن لجميع الكفار على العموم... ووردا لليهود والنصارى جميعًا على الخصوص»(٣٨).

رابعًا: الآية المستشهد بها من سورة المائدة وصفت اليهود بأنهم «أضل عن سواء السبيل»، فلم خُصُّوا بالغضب دون الضلال؟ ويحاول الطبري الإجابة على هذا السؤال فيقول: «فإن قال قائل: أوليس ذلك أيضًا من صفة اليهود؟ قيل: بلى! فإن قال: كيف خصّ النصارى بهذه الصفة، وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم؟ قيل: إن كلا الفريقين ضُلال مغضوب عليهم، غير أن الله جل ثناؤه وَسَم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به إذا ذكره لهم، أو أخبرهم عنه، ولم يَسِمْ واحدًا من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه»(٣٩).

ويقول الشنقيطي في الإجابة على السؤال نفسه: «... واليهود والنصارى وإن كانوا ضالين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا، فإن الغضب إنما خُص به اليهود، وإن شاركهم النصارى فيه، لأنهم يعرفون الحق وينكرونه، ويأتون الباطل عمدًا، فكان الغضب أخص صفاتهم، والنصارى جهلة لا يعرفون الحق، فكان الضلال أخص صفاتهم»(٤٠)، غير أن هذا كله اجتهاد منهما لا يقوم عليه دليل.

ب: الضالون

بالطريقة نفسها التي استدل بها الطبري على معرفة المغضوب عليهم، استدل على معرفة الضالين فقال: «فإن قال لنا قائل: ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلك بنا سبيلهم، أو نضل ضلالهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله في تنزيله، فقال ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟

(٣٨) روح المعاني ٩٦/١.

(٣٩) جامع البيان ١٩٧/١.

(٤٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٥٣/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[41] ... فإن قال: وما برهانك على أنهم أولاء؟ قيل...»[42]، ويورد جملة من الآثار بسنده إلى رسول الله ﷺ يؤكد بها رأيه.

- **المناقشة:**

أولًا: الضالون المشار إليهم في الآية المذكورة من سورة المائدة مختلف في كنههم بين المفسرين، فمنهم من قال إنهم اليهود[43]، ومنهم من قال إنهم رؤساء اليهود والنصارى وأسلافهم[44]، ومنهم من قال إنهم أئمة النصارى[45]، فالضالون في الآية من قبيل المبهم أيضًا، بدليل الخلاف، فكيف يستدل بمبهم على مبهم؟

ثانيًا: العجيب في هذا الاستدلال الذي تبع فيه الطبري كثير من المفسرين[46] أن الطبري نفسه عند تفسير هذه الآية في سورة المائدة، قال إن المقصود بالذين ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل «اليهود»، يقول الطبري: «... ولا تتبعوا أيضًا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا: هو لغير رِشْدة، وتَبْهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية، وهي صدّيقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ ، يقول تعالى ذكره: وأضلّ هؤلاء اليهود كثيرًا من الناس، فحادوا بهم عن طريق الحقّ وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح، ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ ، يقول: وضلّ هؤلاء اليهود عن قصد الطريق، وركبوا غير محجة الحقّ، وإنما يعني تعالى ذكره بذلك كفرهم بالله وتكذيبهم رسله عيسى ومحمدًا ﷺ، وذهابهم عن الإيمان وبُعْدهم منه، وذلك كان ضلالهم الذي

---

(٤١) سورة المائدة: الآية ٧٧

(٤٢) جامع البيان ١٩٤/١- ١٩٧.

(٤٣) جامع البيان ٥٨٥/٨، ونقله القرطبي (٦٧١هـ) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، نقله عن مجاهد والحسن ١٠٣/٨.

(٤٤) القرطبي ١٠٣/٨.

(٤٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧هـ ٥٣٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان ٢٧٨/٢.

(٤٦) منهم الزمخشري (الكشاف ١٢٣/١) وابن كثير (١٤١/١)، والسمرقندي (تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبوالليث (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض والدكتور زكريا عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ٨٣/١)، وغيرهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصفهم الله به، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[٤٧]، ثم يورد ذكر من قال ذلك.

ثالثًا: من المفسرين من نقل إجماعًا على هذا الرأي، أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، مثل ابن أبي حاتم[٤٨]، وقال السمرقندي: «وقد أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود، والضالين أراد به النصارى»[٤٩]، وقال الماوردي: «وهو قول جميع المفسرين»[٥٠]، والحق أن الخلاف قائم، يقول البغوي: «وقال سهل بن عبدالله: غيرُ المغضوب عليهم بالبدعة، ولا الضالين عن السنة»[٥١]، وإن كان هذا الرأي لا يقوم عليه دليل.

ويقول الفخر الرازي «المشهور أن المغضوب عليهم هم اليهود... والضالين هم النصارى... وقيل: هذا ضعيف، لأن منكري الصانع والمشركين أخبث دينًا من اليهود والنصارى، فكان الاحتراز عن دينهم أولى، بل الأولى أن يحمل المغضوب عليهم على كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق، ويحمل الضالون على كل من أخطأ في الاعتقاد، لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل، ويحتمل أن يقال: المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون، وذلك لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم في خمس آيات من أول البقرة، ثم أتبعه بذكر الكفار... ثم أتبعه بذكر المنافقين... فكذا ههنا بدأ بذكر المؤمنين... ثم أتبعه بذكر الكفار... ثم أتبعه بذكر المنافقين»[٥٢].

وهذه لفتة طيبة من الفخر الرازي، أن تتبع سياق القرآن في الحديث عن طوائف الناس في سورة البقرة، ليستدل على المغضوب عليهم والضالين، لكن هذا الترتيب في سورة البقرة لا يُشترط قيامه كذلك في سورة الفاتحة، وهو نفسه ساق هذا الرأي بصيغة التمريض «ويحتمل أن يقال».

---

(٤٧) جامع البيان ٥٨٥/٨.

(٤٨) تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ٣١/١.

(٤٩) بحر العلوم ٨٣/١.

(٥٠) النكت والعيون، تفسير الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤هـ ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان ٦١/١.

(٥١) تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ٥٥/١.

(٥٢) تفسير الفخر الرازي، ٢٦٤/١ ـ ٢٦٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم يقدم لنا الفخر الرازي دليلًا واضحًا على اختياره، أن المغضوب عليهم كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة والضالين كل من أخطأ في الاعتقاد، إلا قوله «لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل»، وهو حجة عليه لا له، لأنه قيَّد المغضوب عليهم بكل من أخطأ في الأعمال الظاهرة، والضالين بكل من أخطأ في الاعتقاد، وكان الأولى، حسب رأيه، أن يبقى اللفظ على معناه اللغوي دون تقييد.

وقد تعقبه الألوسي في هذا فقال بعد أن أورد كلامه: «... فقد ضل ضلالًا بعيدًا إن كان قد بلغه ما صح عن رسول الله ﷺ وإلا فقد تجاسر على تفسير كتاب الله تعالى مع الجهل بأحاديث رسول الله ﷺ، وما قاله في منكري الصانع لا يعتد به لأن من لا دين له لا يعتد بذكره، والعجب من الإمام الرازي أنه نقل هذا ولم يتعقبه بشيء سوى أنه زاد في الشطرنج بغلًا، فقال ويحتمل أن يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون، وعلله بما في أول البقرة من ذكر المؤمنين ثم الكفار ثم المنافقين، فقاس ما هنا على ما هناك، وهل بعد قول رسول الله ﷺ الصادق الأمين قول لقائل أو قياس لقائس؟ هيهات هيهات دون ذلك أهوال...»[٥٣].

ويقول ابن عاشور: «والمراد من المغضوب عليهم والضالين جنسا فرق الكفر، فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد وعن تأويل بعيد جدًا تحمل عليه غلبة الهوى، فهؤلاء سلكوا من الصراط الذي خط لهم مسالك غير مستقيمة فاستحقوا الغضب، لأنهم أخطأوا عن غير معذرة إذ ما حملهم على الخطأ إلا إيثار حظوظ الدنيا.

والضالون جنس للفرق الذين حرفوا الديانات الحق عن عمد وعن سوء فهم، وكلا الفريقين مذموم معاقب لأن الخلق مأمورون باتباع سبيل الحق وبذل الجهد إلى إصابته، والحذر من مخالفة مقاصده، وإذ قد تقدم ذكر المغضوب عليهم وعلم أن الغضب عليهم لأنهم حادوا عن الصراط الذي هدوا إليه فحرموا أنفسهم من الوصول به إلى مرضاة الله تعالى، وأن الضالين قد ضلوا الصراط، فحصل شبه الاحتباك، وهو أن كلا الفريقين نال حظًا من الوصفين، إلا أن تعليق كل وصف على الفريق الذي علق عليه يرشد إلى أن الموصوفين بالضالين هم دون المغضوب عليهم في

(٥٣) روح المعاني ١/٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضلال، فالمراد المغضوب عليهم غضبًا شديدًا لأن ضلالهم شنيع...»[٥٤].

رابعًا: ما قيل عن أن اليهود لم يُختصوا وحدهم بالغضب عليهم في القرآن يقال أيضًا عن النصارى، فلم يُختصوا وحدهم بالضلال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ [٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [٥٦] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ [٥٧]، وغير ذلك[٥٨].

خامسًا: من المفسرين من فطن إلى أنه لا وجه للاستدلال على المبهم في هذا الموطن بالقرآن الكريم، وإن كان قد أيد الرأي نفسه، أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، ولكن بالاستدلال بالسنة، يقول الألوسي: «واستدل بعضهم على أن المغضوب عليهم هم اليهود بقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴿٦٠﴾﴾ [٥٩]، وعلى أن الضالين النصارى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ [٦٠]، والأولى الاستدلال بالحديث لأن الغضب والضلال وردا جميعًا في القرآن لجميع الكفار على العموم... ووردا لليهود والنصارى جميعًا على الخصوص كما ذكره المستدل»[٦١].

سادسًا: حَمَل بعض المفسرين ما ورد من أخبار يدل ظاهرها على أن اليهود هم المغضوب عليهم، والضالين هم النصارى[٦٢] على أن ذلك من قبيل تفسير العام ببعض أفراده، يقول الشيخ محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، بعد أن يورد ما

---

(٥٤) التحرير والتنوير،١/١٩٩.

(٥٥) سورة النساء: الآية ١٦٧.

(٥٦) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

(٥٧) سورة الواقعة: الآية ٥١.

(٥٨) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) مادة ضلل، ص٤٢٣.

(٥٩) سورة المائدة: من الآية ٦٠.

(٦٠) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

(٦١) روح المعاني ٩٦/١.

(٦٢) ما روى الإمام أحمد في مسنده (ج٤ ص ٣٧٨)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٢٩٥٣ و٢٩٥٤)، ٦٩/٥-٧١، وابن حبان في صحيحه (٧٢٠٦، تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ج١٦/١٨٣-١٨٤)، وصححه الشيخ شاكر (١/١٨٥ و١٩٣، الطبري بتحقيق شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحاول أن يضعفها به: «... إن ما ذكره المحققون من الوجوه الأخرى لا يعد مخالفا للمأثور الذي هو من قبيل تفسير العام ببعض أفراده، من قبيل التمثيل لا التخصيص ولا الحصر بالأولى»(٦٣).

ويقول: «ورد في الحديث المرفوع تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، رواه أحمد والترمذي وحسنه ابن حبان وصححه غيرهم، ونقلنا عن شيخ الأستاذ الإمام عزوه إلى بعضهم، أي بعض المفسرين، وهو يريد أن بعض المفسرين اختار أن هذا هو المعنى المراد، وهو لم يكن يجهل أن هذا روي مرفوعًا، ولكنه كان يعلم- مع هذا- أن أكثر المفسرين فسروا اللفظين بما يدلان عليه لغة، حتى بعض أهل الحديث منهم، وكأنهم لم يروا أن الحديث صحيح، فقد قال البغوي الملقب بمحيي السنة في تفسيره «معالم التنزيل» بعد تفسيرهما بمدلولهما اللغوي، قيل: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى، لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب... وحكم على النصارى بالضلال.. فعبر عن هذا القول بقيل الدال على ضعفه عنده، ولم يستدل عليه بالحديث» (٦٤).

ثم يقول عن ابن كثير: «... ثم ذكر الحديث ورواياته، وهو عند أحمد والترمذي، وكذا ابن حبان من طريق سماك بن حرب عن عدي بن حاتم، قال الترمذي، حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديثه، وسماك ضعفه جماعة ووثقه آخرون واتفقوا على أنه تغير في آخر عمره بل خرف، فما رواه في هذه الحال فلا جال في رده بالاتفاق، وأخرجه بن مردويه عن أبي ذر أيضًا بسند، قال الحافظ في الفتح: إنه حسن» (٦٥).

ولذا يرى الشيخ رضا أن «المغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق مع علمهم به، والذين بلغهم شرع الله ودينه فرفضوه ولم يقبلوه، انصرافًا عن السير ورضاء بما ورثوه من القيل، ووقوفًا عند التقليد، وعكوفًا على هوى غير رشيد... إن الضالين هم الذين لم يعرفوا الحق ألبتة، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح الذي يقوم به العمل... وقرن المعطوف في قوله ولا الضالين بـ«لا» نما في «غير» من معنى

(٦٣) تفسير المنار، ١/٩٨.
(٦٤) تفسير المنار ١/٩٧.
(٦٥) تفسير المنار ١/٩٧-٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النفي، أي وغير الضالين، ففيه تأكيد للنفي، وهو يدل على أن الطوائف ثلاث: المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالون.

ولا شك أن المغضوب عليهم ضالون أيضًا، لأنهم بنبذهم الحق وراء ظهورهم قد استبروا الغاية واستقبلوا غير وجهتها، فلا يصلون منها إلى المطلوب، ولا يهتدون فيها إلى مرغوب، ولكن فرقًا بين من عرف الحق فأعرض عنه على علم، وبين من لم يظهر له الحق فهو تائه بين الطرق، لا يهتدي إلى الجادة الموصلة منها، وهم من لم تبلغهم الرسالة، أو بلغتهم على وجه لم يتبين لهم فيه الحق، فهؤلاء هم أحق باسم الضالين، فإن الضال حقيقة هو التائه الواقع في عماية لا يهتدي معها إلى المطلوب، والعماية في الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل وتشبه الصواب بالخطأ»[٦٦].

ثم ينقل عن «الأستاذ الإمام» (محمد عبده) أن الضالين على أقسام أربعة: القسم الأول من لم تبلغهم الدعوة إلى الرسالة، أو بلغتهم على وجه لا يسوق إلى النظر، والقسم الثاني من بلغته الدعوة على وجه يبعث على النظر، فساق همته إليه، واستفرغ جهده فيه، ولكن لم يوفق إلى الإيمان بما دعي إليه، والقسم الثالث: من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها، بدون نظر في أدلتها ولا وقوف على أصولها، فاتبعوا أهواءهم في فهم ما جاءت به من أصول العقائد، وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين، ومنهم المبتدعون في دين الإسلام، والقسم الرابع: ضلال في الأعمال، وتحريف للأحكام عما وضعت له، كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات...[٦٧].

وذهب مذهب الشيخ رضا أيضًا مع الأخبار التي يدل ظاهرها على أن اليهود هم المغضوب عليهم والضالون هم النصارى، الطاهر ابن عاشور «... فاليهود مثل للفريق الأول، والنصارى من جملة الفريق الثاني، كما ورد به الحديث عن النبي ﷺ في جامع الترمذي وحسنه، وما ورد في الأثر من تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى، فهو من قبيل التمثيل بأشهر الفرق التي حق

(٦٦) تفسير المنار ١/٦٨-٦٩.

(٦٧) تفسير المنار ١/٦٩-٧١ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها هذان الوصفان، فقد كان العرب يعرفون اليهود في خيبر والنضير وبعض سكان المدينة وفي عرب اليمن، وكانوا يعرفون نصارى العرب مثل تغلب وكلب وبعض قضاعة، وكل أولئك بدلوا وغيروا ونكبوا عن الصراط المستقيم الذي أرشدهم الله إليه وتفرقوا في بنيات الطرق على تفاوت في ذلك.

فاليهود تمردوا على أنبيائهم وأحبارهم غير مرة وبدلوا الشريعة عمدًا فلزمهم وصف المغضوب عليهم وعلق بهم في آيات كثيرة، والنصارى ضلوا بعد الحواريين وأساءوا فهم معنى التقديس في عيسى عليه السلام فزعموه ابن الله على الحقيقة...»[٦٨].

- **الخلاصة والترجيح :**

نخلص من هذا كله إلى أنه لا وجه للاستدلال بالآيات التي استدل بها أكثر المفسرين على أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى، وتجب مراعاة المواطن الأخرى في القرآن الكريم التي وصفت أقوامًا آخرين بأنهم مغضوب عليهم أو ضالون، لمعرفة حقيقة المغضوب عليهم والضالين في سورة الفاتحة، فيما يمكن أن نطلق عليه «مراجعة القاموس القرآني»، أو «الاستخدام القرآني للفظ».

ويأتي هذا تأكيدًا لما تقرر سابقًا من احتمالية الإخفاق في التوصل للصواب من خلال تفسير القرآن بالقرآن، لا بسبب اعتماد المفسر على القرآن في التفسير، ولا لاضطراب أو تناقض في القرآن، معاذ الله، ولكن لخطأ في الاستدلال، أو تقصير في دراسة الاستخدام القرآني للألفاظ والجمل والأساليب، أو النظر إلى مواطن قرآنية دون غيرها مما قد تكون ذات صلة بالموضوع، أو لأمور أخرى تجب مراعاتها، ربما تكون خاصة بكل موطن على حدة، قد تغيب عن المستدل.. على أن الحكم بالإخفاق أو التوفيق يبقى رأيًا للبحث، يحتمل الخطأ والصواب.

أما ما ورد في هذا الشأن من أخبار يدل ظاهرها على أن اليهود هم المغضوب عليهم والضالون هم النصارى، فيمكن أن يُعد «من قبيل تفسير العام ببعض أفراده، من قبيل التمثيل لا التخصيص، ولا الحصر بالأولى»[٦٩].

والتقسيم الثلاثي لأحوال الناس مع الحق (منعم عليهم عرفوا الحق واتخذوه

(٦٨) تفسير التحرير والتنوير: ١/١٩٩-٢٠٠.
(٦٩) تفسير المنار ١/٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبيلًا، ومغضوب عليهم عرفوا الحق وحادوا عنه، وضالون لم يهتدوا للحق أصلًا)
منطقي وأقرب إلى الصواب، وجامع لليهود والنصارى وغيرهم، والمختار في الكشف
عن حقيقة هذا المبهم في سورة الفاتحة، إذ لا وجه لقصر صفة من الصفتين على
اليهود أو النصارى دون غيرهم، كما مر.

ولعل هذا ما صرح به البيضاوي قائلًا: «ويتجه أن يقال المغضوب عليهم
العصاة والضالين الجاهلون بالله، لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به، وكان المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة،
والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه
والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله) فماذا بعد الحق إلا الضلال»[٧٠].

وهو كذلك ما نقله صاحب كتاب تاريخ نجد عن الإمام محمد بن عبدالوهاب: «وأما
قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[٧١]، فالمغضوب عليهم هم
العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود،
والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب
عليهم وأن النصارى ضالون ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم وهو يقرأ أن ربه
فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فياسبحان
الله كيف يعلمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائمًا مع أنه لا حذر عليه
منه، ولا يتصور أن فعله هذا هو ظن السوء بالله»[٧٢].. والله تعالى أعلم.

(٧٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٣١.

(٧١) سورة الفاتحة: من الآية ٧.

(٧٢) تاريخ نجد، للشيخ الإمام حسين بن غنام، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

الاستدلال على الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه

- القيمة العلمية أو العملية لتحديد هذه الكلمات:

هذه كلمات قالها أبو الأنبياء آدم فتاب الله عليه بها، فتحديدها فيه نفع للمؤمن، عسى أن يناجي ربه بها فيتوب عليه.

- آراء المفسرين فيها:

اختلف المفسرون في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (٧٣)، إلى أقوال كثيرة(٧٤)، منها ما يلي:

١- هذه الكلمات هي قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٧٥).

٢- أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جَنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب، ألم تسبق رحمتُك غضبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن أنا تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم. وفي رواية: رب، ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى. قال: ونفخت فيّ من روحك؟ قيل له: بلى. قال وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى. قال: ربّ هل كنتَ كتبتَ هذا عليّ؟ قيل له: نعم. قال: رب، إن تبت وأصلحت، هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قيل له: نعم(٧٦).

٣- رب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ فقال له ربه: إني راجعك إلى الجنة. وفي رواية:

---

(٧٣) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٧٤) أوردها السيوطي في كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ٣١٤/١، وما بعدها.

(٧٥) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٧٦) تفسير الطبري ٥٨٠/١، وتفسير ابن أبي حاتم،٩٠/١(٤٠٧)، والدر المنثور٣١٤/١، و«فتح القدير- الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ١٢٥٠هـ، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ٥٠/١، وغيرهم. والحديث أخرجه الحاكم (أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري،٣٢١هـ ٤٠٥هـ) في «المستدرك على الصحيحين» عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد، مطبوعات مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ ٥٤٥/٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ قال: إني إذًا راجعك إلى الجنة. وفي رواية: يا رب، أرأيت إن تبت وأصلحت؟ فقال الله: إذًا أرجعك إلى الجنة. فهي من الكلمات. ومن الكلمات أيضًا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٧٧)(٧٨).

٤- يا رب، خطيئتي التي أخطأتها، أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعتُهُ من قبل نفسي؟ قال: بلى، شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبته علي فاغفره لي(٧٩).

٥- اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، تب عليّ إنك أنت التواب الرحيم(٨٠).

٦- اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربي إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم(٨١).

٧- سبحانك اللّهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

- المناقشة:

يقول ابن جرير الطبري بعد أن يورد مرويات متعددة لنص هذه الكلمات: «وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه، وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقَّى آدمَ كلماتٍ، فتلقَّاهُنّ آدمُ من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب بقبِيله إياهنّ وعملِه بهنّ إلى الله من خطيئته، معترفًا بذنبه، متنصِّلا إلى ربه من

(٧٧) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٧٨) تفسير الطبري ٥٨٢/١.

(٧٩) تفسير ابن أبي حاتم ٩١/١(٤٠٩)، وأورده الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ)، في «الرد على الجهمية» قدم له وخرّج أحاديثه وعلق عليها بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥، ١٣٢(٢٧٧).

(٨٠) تفسير الطبري ٥٨٤/١، والدر المنثور ٣١٩/١، وأخرجه البيهقي (الإمام أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي) في «شعب الإيمان» (٧١٧٥)، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠م، ٤٣٥/٥، وابن عساكر (أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي، المعروف بابن عساكر الدمشقي، ٤٩٩هـ - ٥٧١ هـ) في كتابه «تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهليها»، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٤٣٥/٧.

(٨١) تفسير الطبري ٥٨٥/١، وتفسير ابن أبي حاتم ٩١/١(٤١١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خطيئته، نادمًا على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه.

والذي يدل عليه كتابُ الله أن الكلمات التي تلقاهنّ آدمُ من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصّلا بقيلها إلى ربه، معترفًا بذنبه، وهو قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [٨٢]» [٨٣].

والعجيب أن الطبري بعد أن يستدل على الكلمات التي تلقاها آدم بالآية السابقة يقول: «وليس ما قاله من خالف قولنا هذا- من الأقوال التي حكيناها- بمدفوع قوله، ولكنه قولٌ لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها، فيجوز لنا إضافته إلى آدم، وأنه مما تلقاه من ربّه عند إنابته إليه من ذنبه، وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم- من قِيله الذي لقَّاه إياه فقاله تائبًا إليه من خطيئته- تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين بكتابه، كيفية التوبة إليه من الذنوب» [٨٤]، فما دامت الأقوال «لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها»، «والذي يدل عليه كتابُ الله أن الكلمات التي تلقاهنّ آدمُ من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصّلا بقيلها إلى ربه، معترفًا بذنبه، وهو قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [٨٥] فعلى أي أساس يكون القول المخالف للآية غير مدفوع؟.

(٨٢) سورة الأعراف: الآية ٢٣.
(٨٣) تفسير الطبري: ٥٨٦/١.
(٨٤) تفسير الطبري: ٥٨٦/١.
(٨٥) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

كما سبق أن أشرنا في المقدمة، فإن تفسير القرآن بالقرآن يأتي في صدارة طرق التفسير على الإطلاق الاستدلال بالقرآن لتفسير القرآن، غير أنه لا يُشترط دومًا أن يوفق فاعله إلى الصواب، بل قد يخفق، لا بسبب اعتماده على القرآن في التفسير، ولا لاضطراب أو تناقض في القرآن، معاذ الله، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[٨٦]، ولكن قد يقع الإخفاق لخطأ في الاستدلال، أو تقصير في دراسة الاستخدام القرآني للألفاظ والجمل والأساليب، أو النظر إلى مواطن قرآنية دون غيرها مما قد تكون ذات صلة بالموضوع، أو لأمور أخرى تجب مراعاتها، ربما تكون خاصة بكل موطن على حدة، قد تغيب عن المستدل.

ولما كان ما سبق مقررًا في التفسير بصفة عامة، كان المبهم أجدر به وأولى، لخصوصية الكلام في المبهم والبحث فيه، كما تبين معنا فيما مضى، لذا كان من الواجب على المستدل على مبهم القرآن بالقرآن مراعاة دراسة المواطن المتعلقة بالمبهم الواحد في القرآن كله، والوقوف على مدلولاتها بشكل واضح، من خلال صنع معجم مصغر للاستخدام القرآني للفظة الواحدة، أو التركيب الواحد، وما المقصود بها في المواطن الأخرى، كما أن عليه ضرورة التوقف عند التفسير القرآني، دون غيره، للمبهم، إذا ثبت، وعدم الجري وراء المرويات الأخرى.

وقبل كل ذلك لا بد من الوقوف على الثمرة العلمية أو العملية من تحديد المبهم، فبعض مبهمات القرآن لا قيمة علمية ولا عملية من تحديدها، ولعل ذلك سبب من أسباب إبهامها، فعلينا ألا نشغل انفسنا بها كثيرًا.

(٨٦) سورة النساء: من الآية ٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥هـ- ١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، د.ت.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف باسم تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبوالخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (٦٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ت.

٣- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ابن عساكر (أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي، المعروف بابن عساكر الدمشقي، ٤٩٩هـ - ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤- تاريخ نجد، للشيخ الإمام حسين بن غنام، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الشروق، الطبعة الرابعة١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥- تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

٦- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (١٢٩٦هـ- ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، د.ت.

٧- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبوالليث (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض والدكتور زكريا عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٨- تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، فخرالدين (٥٤٤هـ- ٦٠٤هـ) ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٩- تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، محمد رشيد رضا (١٢٨٢هـ- ١٣٥٤)، دار المنار الطبعة الثانية ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

- تفسير القرآن العظيم، أبوالفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠هـ-٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة ١/٢٣٥.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، د.ت.

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ- ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- الرد على الجهمية، الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، قدم له وخرّج أحاديثه وعلق عليها بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود أبوالفضل الألوسي البغدادي (١٢١٧-١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ت.

- سنن الترمذي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

- شعب الإيمان، البيهقي (الإمام أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، ٤٥٨هـ)، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

- صحيح ابن حبان في، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ١٩٩٣م.

- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣٤٧هـ١٩٢٩م.

٢١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣هـ-٨٥٢هـ) بعناية عبدالعزيز بن باز، محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.ت.

٢٢- فتح القدير.. الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ١٢٥٠هـ، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة.

٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧هـ- ٥٣٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان.

٢٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٢٥- المستدرك على الصحيحين، الحاكم (أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ٣٢١هـ- ٤٠٥هـ)، مطبوعات مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ.

٢٦- مسند الإمام أحمد، طبعة الميمنية.

٢٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية).

٢٨- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ ١٥٠٥م)، بضبط وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ١٩٨٢م.

٢٩- النكت والعيون، تفسير الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤هـ-٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Inferred vague Holy Qur'an

Researcher / Amer Ahmed Ali Amer
Faculty of Arts - Menoufia University - to get a master's degree

Abstract

This paper presents three models to deduce the commentators, the difference in their schools explanatory, a vague Koran holy Koran, and discusses the Astdalalathm, trying to conclude a scientific approach to deal with this vague, and not only to the likelihood of consensus opinion on everything else.

What is meant here Balmpehm "as mentioned in the Koran without his name, and not appointed by the number or duration or place or ratios or event" ().

The importance of this research in the interpretation of the Holy Qur'an comes at the forefront of ways of interpretation, however, some confusion in the ways of reasoning might occur as a result of a partial view, a citizen in the Koran without the other, or the omission of what does not improve overlooked, or stick to the apparent meaning of the Quranic text without access to Aahath and its contents, and what they can afford to language of meanings and purposes, probably does not apparent by the text ... etc.

For this and other it was necessary scientific approach that must be respected interpreter of the Holy Qur'an, and then inferred the Holy Quran vague mode, which tries to look to play ..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner